

خطبة عيد الفطر [١]

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تحصل الدرجات وبكرمه تبدل الخطيئات الحمد لله على تمام الشهر وكمال الفضل فالفضل لك وحدك لا شريك لك؛ فتقبل منا وأعفُ عنا وتجاوز عن تقصيرنا وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

إنه العيدُ جاءَ ضيفاً عزيزاً ... فاكتبُوا بالمدادِ فيضَ التهاني

كَبَرُوا اللهَ، علَّ تكبيرَةَ العيدِ تضحَّ الضميرَ في الشريانِ

زلزلتُ في القديمِ إيوانَ كسرى هل تهزُّ الغداةَ كسرى الزمانِ

ها هي صفحات الأيام تطوى وساعات الزمن تنقضي .. بالأمس القريب استقبلنا حبيبا واليوم نودعه ... وقبل أيام هل هلالُ رمضان واليوم تصرمت أيامه ... ولئن فاخرت الأمم — من حولنا — بأيامها وأعيادها فإنما هي تضرب في تيه وتسعى في ضلال ... ويبقى الحق والهدى طريق أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فالحمد لله الذي هدى أمة الإسلام سبيلها وألهمها رشدها وخصها بفضل لم يكن لمن قبلها .. أطلق بصرك لترى هذه الأمة المرحومة مع إشراقة يوم العيد تتعبد الله - عز وجل - بالفطر كما تعبدته من قبل بالصيام.

العيد من شعائر الإسلام وشرائعه

إن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج يقول عز وجل: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} (الحج: ٦٧) أي: عيدًا يختصون به.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: ((مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟)). قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ النَّاضِحِيِّ وَيَوْمَ الْفِطْرِ)).

فالعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظهر من أجل مظاهره، وتعظيمه من تقوى القلوب ؛ قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (الحج:٣٢)

يوم العيد يوم فرح وسرور :

إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلصت لله نيته، فالفرح فيه سنة ولبس الجيد سنة فعن ابن عباس قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَلْبَسُ يَوْمَ الْعِيدِ بُرْدَةً حَمْرَاءَ)) (٢٦)

ولكن اعلموا أيها المسلمون، أنه ليس السعيد من تزين وتجميل للعيد، فلبس الجديد ، ولا من خدمته الدنيا وأتته على ما يريد، وهو قائم على معصية الله وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد واتقى ذا العرش المجيد .. وسكب الدمع تائباً رجاء يوم المزيد .. والسعيد من فاز بتقوى الله تعالى، وكتب له النجاة من نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم والضريع، وشرابهم الحميم والصديد، وفاز بجنة الخلد التي لا ينقص نعيمها ولا يبيد فهذا هو عيده الأكبر وفرحته العظمى .

فالحذر الحذر أن تكون الأعياد موسماً يُعَبُّ فيه من الله عباً، بلا تحرُّز من حرام أو تباعد عن باطل، فذلك ينافي تعاليم الإسلام، ويضاد مقاصده من الأعياد وغيرها.

يوم العيد يوم شكر النعمة .

فاشكر الله عز وجل أن أتم عليك أيام هذا الشهر العظيم وجعلك ممن صامه وقامه.

وأكثر من الدعاء بأن يتقبل الله منك الصيام والقيام وأن يتجاوز عن تقصيرك وزلك.

قال الله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة: ١٨٥).

وقفه سريعة مع مخالفات العيد المخالفات :

عباد الله احذروا من المخالفات في يوم العيد فإنه يوم الطاعة لايوم المعصية، ومن ذلك ما يلي :

* تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والسلام على الأموات.

* اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع والمنتزهات.

* بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللهو والعبث وهذا لا يجوز.

* البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى وتخلص من العبادة فيه وكأنها حمل ثقيل على ظهره .. وهذا خطر عظيم.

*الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى تجاوز الأمر إلى الإسراف في ذلك. قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف: ٣١).

*الدخول على النساء في الزاريارات ومصافحة النساء

*الألعاب النارية للأطفال بين بعض مما يؤدي إلى كثير من الإصابات

أيها المسلمون الكرام؛ لا تكونوا كالتى نقضت غزلها .

فيا من وفى في رمضان على أحسن حال لا تُغَيِّرْ في شوال .. ويا من أدرك العيد عليك بشكر النعم والثناء عليه ولا تنقض غزلًا من بعد قوة وعناء {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

النَّيْمَانَ بَعْدَ تَوَكُّدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُّوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (النحل: ٩٢: ٩١).

{نَقَضَتْ غَزْلَهَا}: أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته. {مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ}: أي إحكام له وبرم. {أَنْكَاثًا}: جمع نكت وهو ما ينكت ويحل بعد الإبرام. فهي تعبت على الغزل ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل ناقص الدين والمروءة، فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينفضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء

* احذر الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة فإن ذلك علامة مقت وخسران، فالعيد بقاء على الخير وثبات على الجادة واستمرار في الطريق .

* حذار حذار من جلساء وأصحاب السوء واصطحاب آلات اللهو في الممتزهاات والاستراحات والعكوف عليها، قال -صلى الله عليه وسلم-: ((لِيَكُونََنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ)) (٢٣)

رب رمضان هو رب كل الشهور:

فاستمر على الطاعة واسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين حتى تلقاه، وأعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس رؤية هلال العيد كما يتوهم البعض بل هو كما قال الله عز وجل: {وَأَعْبُدُوا رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر: ٩٩). واليقين هو الموت .. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

وإن ودَّعتَ – أيها المسلم – شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعتق من النار فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تهنأ به نفس المؤمن وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام ومن ذلك:

* صيام ست من شوال؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)) (٤٤). وإن كان عليك قضاء فاقضه ثم صمها.

* صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وصيام يوم عرفه لغير الحاج، وغيرها من النوافل ...

* قيام الليل والمحافظة على الوتر. وتأسَّ بالأخيار {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} (الذاريات: ١٧).

* قراءة القرآن والحرص على ذلك يوميًا ولو جزءًا واحدًا على الأقل.

* احرص على أعمال البر واستقم على الطاعة. قال الله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} (هود: ١١٢). وأنواع الطاعات كثيرة وأجرها عظيم قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٧).

فاحرص أخي المسلم على الاستمرار على الأعمال الصالحة واحذر أن يفجأك الموت على معصية .. واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده .. والحسنة تتبعها الحسنة والسيئة تجر السيئة.

العيد فرصة لتحسين العلاقات وجمع الشمل ورأب الصدع وقطع العداوات المستشرية:

ورحم الله من أعان على إعادة مياه المودة إلى مجاريها؛ فاجعل هدية العيد لهذا العام عفو وصفح وغفران، قال - عز وجل - : {وَإِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (التغابن: ١٤) ما أجمل أن يكون العيد فرصة لصلة المتهاجرين والتقاء المتقاطعين.

فأصلحوا ذات بينكم، ولا يصدنكم الشيطان، فإنه قد يزين للمسلم أن هذا التنازل عن الحقوق والصفح عن الهفوات نوع ضعف وعجز ومهانة وأن يقال في المسلم ذلك خير له من أن يقع في بحور القطيعة وخطيئة فعن أبي أيوب الأنصاري -رضى الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)).

وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ))، وقال -صلى الله عليه وسلم-: ((لَا تَحَاسَدُواْ وَلَا تَدَابَرُواْ وَلَا تَبَاغَضُواْ وَكُونُواْ عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)).

معاشر النساء: أجبن نداء الله لكن حيث قال: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (الأحزاب: ٣٣) إنها آية عظيمة جامعة لو تأملت المرأة وعملت بها لحازت خير الدنيا والآخرة.

* عليك بخدمة الزوج والقيام معه بالطاعة ورعاية أولاده وحفظ ماله ومتاعه فإن لك بذلك عظيم الأجر وجزيل العطاء وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ)) (٢٥)

* احذري الخضوع في مخاطبة الرجال ومخالطتهم وإبداء الزينة لهم ابتعدي عن ذلك في أماكن العبادة كمكة وفي الأعياد والجمع فضلاً عن الأسواق والحدائق العامة.

عن أَبِي أُسَيْدٍ النَّصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرَّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلنِّسَاءِ: ((اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيَكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ))، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّىٰ إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ)) (٢٦)

* احذري مشابهة الكافرات والماجنات بحجة متابعة الموضة؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)) (٢٧).

* حافظي على عفافك وحجابك وحياتك (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب ٥٩).

احذري دعوات التغريب وسهام التضليل التي يقذف بها الأعداء. احذري تميع الحجاب فالحجاب ستر وليس زينة. وليست العباءة الضيقة ولا الشفافة ولا مطرزة الأكمام حجاباً شرعياً.

أيها الرجال: على الزوج أيضاً أن يتقي الله في زوجته فلا يظلمها ولا يضرها، عليه أن يحفظ لها قيمتها وقدرها خصوصاً عند أولادها. عليك أيها الزوج أن تعلم أن رباط الزوجية رباط وثيق فهو رباط مصاحبة لا ينقطع بالموت، إنه عقد صحبة لا عقد رق وولاء في الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم- قال: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)) (٢٨).

فالواجب احترام سيادة المرأة في البيت وأن لا تسقط خاصة عند أولادها..

أيها الرجال، استوصوا بالنساء خيراً: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن

ذهبت قيمته كسرتة وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)).

احذروا كيد الأعداء:

فإنهم لا يريدون بكم خيراً وقد أخبركم ربكم بدوام عداوتهم لكم {وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة: ٢١٧) وأنهم لن يرضوا عنكم إلا بانسلاخكم عن دينكم {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: ١٢٠).

جسد واحد: أخي المسلم، لا تنسى أن تعيش العيد بروح الجسد الواحد فتذكر إخوانك الفقراء من أهل مصر وكذا إخوانك المستضعفين في كل الأرض وعليك بكثرة الدعاء لهم. ...

يعودُ العيدُ يا أحبابُ ... سعيدًا يقرعُ الأبوابُ

يُحيينا ويُحيينا ... ويدعوننا إلى المحرابِ

يعودُ الحبُّ للقلبِ ... وهل أحلى من الحبِّ؟!

فنهنا بالجنأ العذبِ ... وندعو اللهَ : يا توابُ

نرى الفقراءَ قد ناموا ... وفي الأكبادِ آلامُ

وقبلَ الصومِ قد صاموا ... وأنتَ الرازقُ الوهابُ

فكبرُ يا أبا الإسلام ... فهذا أسعدُ الأيامِ

وهيّا نمسح الآلام ... ونسقي الخيرَ بالأكوابِ

دموغُ القدسِ خلفَ النارِ ... تتادي موكبَ الأحرارِ

فكبرُ .. دمرَ الأسوارِ ... فربُّك هازمُ الأحزابِ

أيا عيدٌ متى النصرُ؟ ... متى حطينُ أو بدرُ؟

تُرى هل يشرقُ الفجرُ؟ ... ونفرحُ فرحةَ الأصحابِ

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر. نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد .

والحمد لله رب العالمين

(١١) بتصرف واختصار من دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (١/ ٥٨٦)

(١٢) المعجم الأوسط (٧/ ٣١٦) وقال الألباني في الصحيحة ح (١٢٧٩): إسنادة جيد .

(١٣) أخرجه البخاري معلقاً (٥٥٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩١)

(الحر): الفرج، والمعنى يستحلون الزنا، والمعازف هي آلات المأهي، أي الآلات الموسيقية.

(١٤) رواه مسلم (١١٦٣).

(٥١) رواه أحمد (١٦٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠)

[٦] رواه أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١ / ٢٢١)

[٧] رواه مسلم (٢١٢٨)

(٨) صحيح البخاري (٨٩٣)، صحيح مسلم (١٨٢٩)